متى تدخل المصطلحات العلمية

في حيز الاستعمال[1]

من الحقائق الواضحة التي يلمحها المرء في الحياة العلمية في الوطن العربي ، أن بين علماء هذا الوطن ومتعلميه رغبة صادقة في الاستغناء عن استعمال الأسماء والمصطلحات الأجنبية والعوض عنها بما يماثلها باللغة العربية .

وعلى أساس من هذه الرغبة الأصيلة المتمكنة المتجددة ، بذلت الجهود الكثيرة منذ فجر النهضة في معظم البلاد العربية ، وكان للكنانة ـ حرسها الله ـ قصب السبق منذ قرن ونيف ، أعني منذ اتخذت العربية فيها لغة الحكومة الرسمية . وقد أنشأت المدارس التي تعلم العلوم والفنون بلغة الضاد في مراحل التعليم الثلاث واضطلعت مدرسة أبي زعبل (القصر العيني بعد ذلك) بتعليم

---

(١) الكلمة التي ألقيت في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة (الدورة السادسة والثلاثين)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الطب باللغة العربية زهاء سبعين سنة ، واستطاع علماء تلك الحقبة من الزمن طيب الله ثراهم ، أن يجدّوا وأن يجدوا في لغة الآباء والأجداد ، ما يشفي غليلهم ويسد حاجتهم إلى المصطلحات العلمية . وانتشر خريجو القصر العيني في الأقطار المجاورة ، وتركوا أثرهم فيها واضحاً ، حتى ليذكر أن منهم من استوطن بلاد الشام فنافس بعلمه وعمله خريجي الجامعات الأجنبية وكان موضع ثقة كل مستشف وعليل .

ودار الزمان دورته ، وتبدل الأمر باحتلال الأجنبي لوادي النيل ، وكان منه أن قوّض أقوى دعائم العزة القومية وهي اللغة ، فحلت اللغة الانكليزية في التعليم محل لغة أهل البلاد ، ومع العدول عن التعليم باللغة الأجنبية في مرحلتي التعليم الأولى والثانية ، ما تزال العلوم تدرس في الجامعات العربية باللغة الدخيلة ، وكأن الأوان لم يئن بعد لإصلاح هذا الخطأ والعود بسياسة التعليم الى أصلها الذي كانت عليه قبل قرن ونيّف .

إن هذه العودة الصحيحة السليمة يكتنفها ويحول بينها عاملان :

العامل الأول : عامل التهيب الذي يتخذ شكل الإشفاق والخوف من أن تأتي اللغة العربية مقصرة عن أداء متطلبات هذا العصر ، عصر الذرة والفضاء والهبوط على الكواكب .

والعامل الثاني : ولعله الأهم ، هو انصراف رجال العلم عن إتقان العربية ، ومنه الصدود الذي يقابل به هذا الموضوع ، والإنسان مطبوع على كراهة ما يجهل إن لم نقل على معاداته .

ومن المؤسف ، أن معظم رجال التدريس في جامعاتنا العربية قد ابتعدت الشقّة بينهم وبين لغة آبائهم وأجدادهم ، منذ أن تلقنوا العلم باللغة الأجنبية مكتفين بما تعلموه بتلك اللغة التي ليس بينهم وبينها أية صلة .

هذان العاملان هما اللذان يحولان بيننا وبين القدرة على التحويل ، ولكن هل نظل خاضعين لهذين العاملين ؟ ألم يعد الاكتفاء باللغة الأجنبية من دون اللغه الأم ، لا يخلو من جرح للكرامة القومية ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إننا نقرأ جميعاً في دساتير البلاد العربية ، أن العربية هي اللغة الرسمية ، إذن ، أليس في هذا العدول عن التعليم بها في المرحلة الأخيرة مخالفة للدستور ؟ وهل في العالم المتمدين كله ما بين شرقه وغربه من يقلب ظهر المجن للغته ، ليرطن بلغة أعجمية فرضها المستعمر لغاية لم تعد لتخفى على أحد محاولاً بهذه الوسيلة حيناً ، وبمحاربة الفصحى حيناً آخر باحلال اللهجات العامية محلها ، توهيناً لأواصر الوحدة وتعميقاً للصدع ؟ أو لم نر إلى أعدائنا في فلسطين المحتلة كيف حاولوا ويحاولون جعل لغتهم الهاجعة أو الميتة منذ آلاف السنين ، لغة علم ومعرفة ولغة حيّة تدرس بها جميع الفنون والعلوم ، غير آبهين بالمصاعب التي يلقونها في هذا السبيل ، وهي مصاعب ولا شك دون المصاعب التي قد تعترضنا في لغتنا التي حضنت العلم والمعرفة مئات السنين ؟

قد يقول قائل : ولكن تلك ، مهمة المجامع اللغوية ، والمجامع اللغوية جادة في إيجاد المصطلحات وتذليل الصعاب أمام لغة العلم حتى تكون مرنة سائغة .

وهنا أحب أن أتساءل ، ما هو مصير هذا العمل الذي تنهض به المجامع اللغوية العربية ؟ أليس هذا النتاج صائراً إلى الكساد ثم إلى الضياع إذا ظلت المصطلحات العلمية التي نجهد في سبيلها ، حبيسة الورق تتصدر المجلدات الضخمة وترتفع فوق الرفوف والخزائن ، لا تتداولها الألسن ولا تتحرك بها الأقلام ؟ إن جهدنا المبذول سيبقى دون جدوى كذلك ، حتى إذا نحن أخرجنا تلك المجلدات ونقلناها إلى معاجم ، إذ ما فائدة هذه المعاجم إذا لم يكن هنالك تداول لها ورجوع إليها واقتباس منها ؟

أستميحكم عذراً إن أنا استعرت هذا المصطلح التجاري الذي يسمونه تسويق البضاعة . . . إن تسويق المصطلحات والألفاظ المعرّبة والموضوعة أمر هام ، علينا أن نتدبره منذ الآن ، وأن السوق التي يجب أن تروج فيها بضاعتنا ، هي معاهد التعليم العالي والجامعات والمؤسسات العامة والمصانع وغيرها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الأماكن التي لا تزال لغة التداول فيها عالة على إحدى اللغات الأجنبية .

في إحدى الندوات التي أقيمت في دمشق ، في كلية الطب خلال أسبوع العلم العاشر الذي احتفل فيه بمرور خمسين عاماً على تعليم الطب باللغة العربية ، وتلك الندوة التي ضمت عديداً من رجال العلم من شتى الأقطار العربية ، وارتفعت أصوات الإطراء لهذه التجربة الرائدة ، لم يكن من المتكلمين غير مجذ ومؤيد ، ولم يرتفع صوت ما من أصوات خصوم تعريب التعليم العالي ، وإنما أجمعت الكلمة على ضرورة تحويله إلى العربية في الجامعات العربية كلها .

وقبل بضع سنين صدر في هذا البلد الأمين ، مرسوم يفرض استعمال اللغة العربية في الكليات العلمية من جامعات الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك بطريق متدرجة تبدأ مع السنين الأولى ثم تستمر متتابعة ، إلا أن هذه الخطوة الجريئة لم يتح لها أن تتم ، فطويت مع ما طوي من رغبات أخرى .

وإذا كان لجمهرة علماء البلاد وأولي الأمر منهم هذه الرغبة ، فما هو العائق الذي يعترض الطريق إلى تنفيذها ؟

إني أرى لنجاح هذه الفكرة أن نخطط لها على النحو التالي :

١ — إخراج **معجمات** في مختلف العلوم على غرار المعاجم العسكرية التي ظهرت وتظهر في الكثير من البلاد العربية .

٢ — عندما يكون هنالك أكثر من معجم واحد في مادة واحدة ـ كما في المعاجم العسكرية ـ توحد في **معجم واحد** ليكون وحده المعجم المتداول والمعوّل عليه في البلاد العربية .

٣ — الأخذ بمبدأ **إصدار المجلات العلمية** باللغة العربية ، في كل مؤسسة علمية : في الجامعات والمعاهد والنقابات الفنية ، تعنى بنشر كل ما يتعلق باختصاصها معتمدة على المصطلحات العلمية العصرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الخير أن تكون هناك خلاصات لهذه البحوث بلغة أجنبية . ويشترط لهذه المجلات أن تكون لغتها صحيحة ، ومادتها وثيقة مستمدة من أمهات المجلات العالمية لترغيب القراء فيها وترهيبهم فيما سواها ، وأن يكون توزيعها بأثمان زهيدة رمزية .

٤ — السعي وراء **تحويل التعليم العالي** العلمي إلى اللغة العربية في خطة مدروسة محكمة تجنباً للاخفاق . إن تعذر الطفرة في ذلك والصعوبة التي قد يلاقيها أعضاء هيئة التدريس الحاليون ، تقتضينا أن نعد للأمر عدته ، قبل أن نشرع فيه . وذلك بجعل إتقان اللغة العربية والاطلاع على المصطلحات العربية التي أقرتها المجامع اللغوية **مؤهلاً رئيسياً** سواء في الانتساب المقبل إلى هيئة التدريس في التعليم العالي أو في الارتقاء في سلّم الدرجات العلمية الجامعية ، فيما بعد .

ومع إقرار التدريس العالي بالعربية واعتماده لا بد من إلزام الطالب الجامعي ، إتقان إحدى اللغات الأجنبية لمتابعة الاختصاص وإغناء المعرفة .

إني أعرض مقترحي هذا على مؤتمركم الموقر ، وكلي أمل أن يكون موضع دراسة وتمحيص فتطبيق . والسلام عليكم .

الدكتور حسني سبح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net